



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 09/07/2023

تاريخ القبول: 19/12/2023

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

التراث وحضوره في الرواية التونسية الحديثة

رواية "أشواك وياسمين" لحسونة المصباحي نموذجا

**Heritage and Its Presence in Modern Tunisian
Novels The novel "Thorns and Jasmine" (Ashwak
wa Yassamine) by Hassouna Al-Mesbahi as an
example**

د / قسمة نوري

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، nguessmia@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية استثمار الروائي حسونة المصباحي للموروث بأنواعه (الأدبي - الشعبي - الديني - التاريخي...) وتوظيفه له باعتباره يحوي نشاط الشعب وعاداته وتقاليده ومعتقداته وأساليب تفكيره من خلال ربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال إحيائه في كل عمل فني كما سنرى ذلك في العمارة الأدبية لرواية و "أشواك وياسمين".

الكلمات المفتاحية: تراث، رواية تونسية، موروث، أشواك وياسمين.

ABSTRACT

This study aims to uncover how the novelist Hassouna Al-Mesbahi invests in various forms of heritage (literary, folk, religious, historical, etc.) and employs it as it encompasses the activities of the people, their customs, traditions, beliefs, and modes of thinking by linking the past to the present and envisioning the future. This can only be achieved by reviving heritage in every artistic work, as we will see in the literary architecture of the novel "Thorns and Jasmine".

Keywords: heritage, Tunisian novel, Ashwak wa Yassamine (thorns and Jasmine)

مقدمة:

إن المكونات الثقافية والصوفية والشعبية (التراث) بكل ما تحمله من أهمية وقيمة، هي موضوع يستحق الدراسة لا محالة خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بما تحويه من قيم تمثل الهوية الحقيقية لكل أمة بعاداتها وتقاليدها، وما خلفها أبنائها من رصيد علمي وأدبي مشرف، ووجب الحفاظ عليها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال إحيائها في كل عمل فني ومن هنا جاءت فكرة توظيفها (التراث) بشتى أنواعه. والتي من بينها التراث الأدبي فنحن "...لا نستطيع معرفة دور أمة ما إلا بإحياء تراثها ودراسته وعرضه على الأجيال الحاضرة.." (ضيف، 2008، صفحة 64) وهذا ما يفسر سبب اهتمام الباحثين الأدباء بقضية التراث وكيفية استغلاله وتوظيفه في مختلف الأعمال الأدبية وفي السياق ذاته تجدر الإشارة إلى أن الأديب حين يكتب لا ينطلق من العدم، بل من مرجعية ثقافية وتراثية تبرز هويته وهوية الأمة التي ينتمي لها وفي الوقت ذاته فإننا نجد أن التراث حينما يرمي بضلاله على أي عمل أدبي يمنحه الأصالة في صورة تجمع بين الماضي والحاضر، غير أنها قد تكون جميلة وقد لا تكون بحسب طريقة توظيف الأديب لهذا التراث الجميل بكل ما فيه "إن التراث يستدعي الحاضر ويصبغه بلونه المتميز، فيلتحم الصراع في الماضي بالصراع في الحاضر، ضمن لحمة واحدة من أحداث الرواية وصياغتها للتعبير في النهاية عن نفس حضاري واحد". (حشلاف، صفحة 15).

وفي سبيل الخوض في العمارة الأدبية للروائي حسونة المصباحي الذي يملك من الثقافة والزاد المعرفي ما يؤهله بمقدرة ليكون أديباً فحلاً، يحكي ويحاكي الهوية والأصالة بكل واقعية ومصداقية، ويعبر عن خلفيته ومرجعياته التراثية التي انطبعت في عمله، لتكشف عن شخصيته، وعن زخمه الثقافي الذي تزخر به روايته "أشواك وياسمين" ونحمله من منابع التراث وتشربه منه سواء كان شعراً أم نثراً، ونستخلص ما يلي :

01/ المكونات الثقافية:

1-1/ النصوص النثرية :

- التراث العربي :

عدد المصباحي في روايته بعض الأعمال الروائية العربية لكبار الأدباء العرب من الدول الشقيقة مثل ثلاثية نجيب محفوظ قائلًا :

- "ومرة واحدة طفت في تلك الأحياء العتيقة التي خلدها نجيب محفوظ في رواياته (...). أشعر أحياناً أنها لم تكن أصلاً موجودة إلا في خيال صاحب الثلاثية". (المصباحي، 2015، صفحة 28).

إن توظيف "المصباحي" لهذا الموروث الأدبي لأديب كبير ومبدع حائز على جائزة نوبل للآداب عام 1988، وله من الأعمال ما يشهد لها التاريخ بالقيمة والعظمة مخصوصاً بثلاثيته، يأتي في سبيل تثمين هذا الجهد الذي بذله وذكر أيضاً :

- "...وأنا أقرأ "أيام" طه حسين محاولاً أن أكون مثله في الخيال فهو من ريف جاف وقاس لكنه الريف الذي شهد مولدي". (المصباحي، 2015، صفحة 33).
- "ها أنا مصرياً آخر من الإسكندرية اسمه توفيق الحكيم يفتنني فأقرأ له دفعة واحدة "عصفور من الشرق" و "عودة الروح" و "زهرة العمر" و "يوميات نائب في الأرياف". (المصباحي، 2015، صفحة 36)
- إلى جانب تطلعات المصباحي الروائية لما جاد به التراث العربي من أعمال نجده يتلذذ بذكرها بين الفينة والأخرى على صفحات روايته، وكذلك هو الحال للتراث الأجنبي :
- **التراث الأجنبي :**
- لقد كان حاضراً هو الآخر في رواية "أشواك وياسمين"، حيث وظف ثلة لا بأس بها من الأسماء اللامعة في الغرب وما خلفوه من موروث أدبي ويتجلى ذلك فيما يلي :
- فكرت في روايتي "المسخ" و "الحاكمة" لكافكا ورحت أستعرض فصوليهما وكأني أدرك عمق معانيهما للمرة الأولى...". (المصباحي، 2015، صفحة 237)
- " والعقاب الأليم الذي يهدد الإنسان العربي (...). الذي يصفه لنا كافكا في قصته "إصلاحية الأحداث" ففي هذه القصة ذات المعنى والرموز.....". (المصباحي، 2015، صفحة 240).
- يعود اكتشافي لهاينريش بل إلى مطلع الثمانينات من القرن الماضي. (...). أول كتاب قرأته له رواية قصيرة عنوانها "القطار وصل في موعده" (المصباحي، 2015، صفحة 250).
- "... كما في رواية "جارمينال" لإميل زولا، فهم يشقون تحت الأرض... وفوقها ولا يجدون السلوى إلا في الكحول...". (المصباحي، 2015، صفحة 255).
- في رائعته الشهيرة: "رحلات جيفر"، يروي جوتتان سويغت أنه كانت هناك مملكة يسكنها قوم من الأقزام.....". (المصباحي، 2015، صفحة 267).
- " في كتابه البديع عن نهر "الدانوب" .. يروي كلاديوماغريس عن الحادثة التالية.....". (المصباحي، 2015، صفحة 269).
- " ثم قرأت رواية أخرى صعقتني مثلما صعقتني رواية حفيد الزنوج عنوانها "الصخب والعنف" كاتبها يدعى وليام فوكنر. قرأتها في ترجمة عربية أنجزها الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا الذي سيصبح صديقاً لي في الثمانينات من القرن الماضي...". (المصباحي، 2015، صفحة 311).
- وقد جاء هذا التوظيف الأدبي لأغراض أهمها أنه أراد أن يأخذنا في نزهة أدبية بعيدة كل البعد عن عالم السياسة والتاريخ، وهذه من أهداف الوصف حيث يستعان به في الأدب للغرضين "الاستراحة والمتعة" ،وكما أنها فرصة ليتحاور فيها الروائي مع قراءه بشكل غير مباشر حول انطباعاتهم الأدبية بعد قراءة هذه الأعمال ،ولكن الشيء الذي يجب التنويه له هنا عدم تحفظ المصباحي والمتمثل في ذكر انطباعاته الخاص على

ما قرأ من أعمال أدبية أجنبية بالإشارة للعمل بالجودة من مثل "صعقتني.."، "في رائعته الشهيرة.."، "في كتابه البديع..." الخ.

- الأقوال والحكم المأثورة :

نجد بعض الأقوال المأثورة التي وظفها المصباحي والتي منها :

- كأن على رؤوسهم الطير (المصباحي، 2015 ، صفحة 34) ذلك كناية عن إطراقهم رؤوسهم وسكوتهم وعدم التفاتهم بيميناً وشمالاً- أي على رأس كل واحد الطير (وكأنه) يريد صيدها، ولا يتحرك، وهذه كانت صفة مجلس رسول الله ﷺ إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير..

- "من أراد أن يطاع، فليأمر بما يستطاع" (المصباحي، 2015 ، صفحة 54).

أثناء ثورة العربان عزم البايع على تنفيذ قراراته، ولم يستجب لمطالب العربان، فجاءه رؤوسهم برفضهم له، معلنين أنه لا طاقة لهم باحتمال ذلك ورأوا من منطلقهم .

- "دار لقمان ظلت على حالها" (المصباحي، 2015 ، صفحة 254).

وظف الروائي هذه الحكمة لما رأى أن الاحتجاجات، والمظاهرات، والنزاعات مازالت متواصلة خاصة في "قفصة والقصرين، وسيدي بوزيد" مثلث الموت"، وتكاد تكون يومية حتى بعد سقوط نظام بن علي، فهم يطردون الحكام والمسؤولين الجدد الذين يأتون بمهدف طمأننتهم على مستقبلهم .

- "دموع التماسيح". (المصباحي، 2015 ، صفحة 300)

تعكس الحكمة التظاهر بالبكاء على الشيء ولكنه البكاء على عكسه تماماً وفي نص الرواية نجد الحكمة تصور حالة أغنياء العرب والمسلمين أمثال "بن لادن" الذين يفضلون أن يبددوا مبالغ طائلة في عمليات لم تكن نتيجتها في النهاية غير تشويه صورة العرب والمسلمين ، أما أطفال فلسطين الذين كان يبكي على حالهم فلم يبن لهم مدرسة واحدة تنقذهم من الجهل أو ملجأ يقيهم شر التشرد .

- فن السيرة :

هو عبارة عن محكي استرجاعي نثري، وهي فن أدبي قديم ظهر مع القديس أوغسطين صاحب كتاب "الإعترافات"، وهو فن موجود في التراثين العربي والغربي، كما يدل على ذلك كتاب المنقذ من الضلال لـ "أبي حامد الغزالي"، و "حياتي" لـ "أحمد أمين"،... الخ.

ما يميز رواية "أشواك وياسمين" هو أنها تشبه إلى حد كبير هذا النوع من الفنون النثرية، حيث تكشف مستويات الحدث الروائي عن دوال تحيل على الذات الناصية، ليس كيقين مرتب العلاقة والأواصر بين ما حدث في الواقع وما يحدث في النص، ولكن كاحتمال قرائي يستنتج عبر قرائن نصية تتضمن إمكانية الإحالة على ذات الناص، ولعل ذلك ما تعنيه الرواية التي تتطعم في جزء منها بالسيرة الذاتية، ووظف فيها بعض المقاطع التي نذكر منها: يتحدث عن إقامته في بيته بتونس أثناء بداية ثورة الياسمين وانطلاق المظاهرات التي تنادي برحيل النظام وكيف اختار العزلة التامة :

- "في الأشهر الأولى من ذلك العام عشت عزلة شبه تامة في بيتي على أطراف الحمامات..." (المصباحي، 2015، صفحة 09).

تذكر أثناء إقامته في ميونيخ في مطلع التسعينات من القرن الماضي اشتغاله بتتبع حدث حرب العراق على الكويت بسبب غزوه للكويت .

- "أذكر أنني وأنا في ميونيخ، حيث كنت أقيم انشغلت بذلك الحدث حتى أنني نسيت تماماً (...). تعود زوجتي من الدراسة (...) تقبلني فأقبلها على عجل وبشيء من النفور (...) منذ ذلك الحين، أصبحت ألجأ إلى عالمي الخاص . " (المصباحي، 2015، صفحة 11.10)

يروي تفاصيل زيارته لمصر أثناء الثورة على نظام الحكم ويصف أوضاعها :

- "أمشي في القاهرة، وفي كل خطوة أخطوها ينقل صدري بهوائها الفاسد، يوماً أقوم بجولات طويلة في العديد من الأحياء خصوصاً في "ميدان التحرير" القلب النابض لتلك المدينة الهائلة الاتساع، الكثيفة السكان، و"طلعت حرب" حيث مكتبة "الشروق" ومكتبة "مدبولي" ومقهى "غروي"، أشهر المقاهي في العهد الملكي، ومقهى "ريش الأصدقاء والصديقات.." (المصباحي، 2015، صفحة 29)

أثناء عودته إلى تونس يصف حالة وتأثر أصدقاءه من الوضع في البلاد :

- ذهبت إلى العاصمة وجدت أصدقائي في حالة بليغة من التأثر والقلق بسبب ما يحدث في البلاد، وفي مطعم "البوليو" حيث تعودت أن أتناول الغداء عند ذهابي إلى العاصمة... عند الغروب عدت إلى البيت. أشعلت الشموع، وعلى أنغام سمفونيات "باخ" التي أعشق الاستماع لها في الأيام الأخيرة من كل عام." (المصباحي، 2015، صفحة 55.54).

في مقطع آخر يذكر بيت هاينريش بل" الذي منحته إدارته إقامة فيه لمدة شهر، فيصف رحلة الوصول إليه في مقطعه هذا فيقول :

"ها أنا في "بيت هاينريش بل" الريفي القريب من الحدود الفاصلة بين ألمانيا وبلجيكا، والذي تفضلت إدارته بمنحي إقامة فيه لمدة أربعة أشهر..... غادرنا محطة القطارات بكونولونيا في الساعة الثالثة ظهراً لنبلغه بعد حوالي ساعة تحت وابل من المطر سرعان ما كف ليعقبه صحو بديع. غابات، وسهول خضراء، وكنييسة صغيرة،..." (المصباحي، 2015، صفحة 249).

وبالرغم من كل ما سبق ذكره من مقاطع إلا أن هذا لا يعني أن رواية أشواك وياسمين عبارة عن سيرة ذاتية محضة، ولكنها في الوقت ذاته تشبه هذا الفن وتقترب منه من خلال انفلاتات سير ذاتية تسربت إلى مفصل الحدث وتماهت في النسج الروائي محدثة تقاطعات معلمية مع ذات الروائي المتحركة في عالم الواقع بتطلعاته وانكساراته.

- المسرح :

لقد وظف المصباحي المسرح أيضاً، الذي هو جنس أدبي ثري وأحياناً شعري، يعتمد على الحوار والصراع بين الشخصيات، ويتجلى هذا التوظيف في روايته حينما وظف شخصية عبد الوهاب التي كان الركح سبباً في تعرفه وزواجه بفايزة التي أحبها من أول نظرة. "وعن زوجته فايزة التي أحبها من النظرة الأولى وهي على الركح في جامعة القيروان تؤدي دوراً في مسرحية لدورنات..". (المصباحي، 2015، صفحة 272).

كما أراد أن يبرز تاريخ المسرح ودوره في الحياة والهدف منه، وتعرف الباي عليه أثناء زيارته لفرنسا فقد عرفت الدول الغربية قبلنا وعن المواضيع التي يتناولها مثل موضوع الحريات :

"...لمشاهدة عرض عجيب يسمونه "تياثر"، وقد قدم هذا العرض في قصر فخيم يسمح شكله المعماري الدائري لجميع المتفرجين (...) بمشاهدة ما يحدث أمامهم (...) وقد سمعت المترجم الفرنسي يقول لسيدنا أن الهدف من عروض تياتر هو تهذيب النفوس والعقول وترتية الناس على الفضيلة... وملخص العرض الذي شاهدناه (...) هو (...)". (المصباحي، 2015، صفحة 111).

ومن جهة ثانية حاول المصباحي الإشارة إلى شخصية محلية خدمت وأحبت وكان لها الفضل في تأسيس المسرح التونسي والتي نعتي بها "خليفة السطنبولي" الذي أراد عبد الوهاب أن يكتب عنه ويمجده بمسرحية باعتباره شهيداً لهذا الفن حيث يقول :

"شكراً... ولكن العمل المسرحي الجديد الذي يشغلني منذ فترة طويلة (...) سيكون طموحاً جداً... وربما سيكون علامة بارزة في مسيرتي". (المصباحي، 2015، صفحة 280).

وفي مقطع آخر : "في آخر لقاء جمعتني به سألت عبد الوهاب عن سبب اختياره لخليفة السطنبولي موضوعاً لمشروعه المسرحي الجديد (...) قال لي : لم يكتب السطنبولي مسرحيات بمستوى مسرحيات الكتاب الذين أعشقهم.. غير أن طموحه كان كبيراً وكبيراً جداً (...) وأنا اعتبره من شهداء الفن في "الجيل الضائع" وهذا هو الجانب الذي يهمني..". (المصباحي، 2015، صفحة 293).

2-1 النصوص الشعرية :

يحتل الشعر بمكانة كبيرة سواء في التراث العربي أو الأجنبي، وهو دليل حي على بقاء الأمم، وهو تبعاً لما يحتويه من زخم هائل من معالم تراثية نجدها متناثرة هنا وهناك بين أطراف القصيدة، ووجود هذا اللون من التراث في الرواية هو شيء عادي لأن المصباحي ذواق وفنان ويتمثل حضور الشعر في الرواية فيما يلي :

- الشعر العربي القديم :

وظف المصباحي أبياتاً شعرية من الشعر العربي القديم نذكر منها الآتي :

أثناء زيارة الباي إلى باريس ، قام بجولات عديدة مدتها وقصورها ، وشاهد عروضاً استثنائية عسكرية ومسرحية وو... فأعجب بها إعجاباً كبيراً ودهش لما رأى من تطور وحضارة ، وطالت إقامته حتى أنه اشتاق لبلده فردد وزيره : هذا البلد يا سيدي العزيز ينسي الوطن والأهل والأحبة فكما قال الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن نزيلهم * * يعاب بنسيان الأحبة والأهل

فضحك وقال :

والله عندك حق. " (المصباحي، 2015 ، صفحة 111)

يروى المصباحي في فصل من فصول روايته على لسان خليفة السطنبولي فترة حكم "الحكم بن هشام" فيصف فترة حكمه ، واستخفافه بشؤون الحكم لنصرف إلى اللهو والعبث ، وقرض الشعر ، ومشاركة الشعراء مجالسه ، وأعذب الشعر عنده شعر عمر بن أبي ربيعة الذي عاش حياته يغازل النساء ، ويلاحقهن في مواسم الحج بالخصوص.. منشدا :

قف بالطواف تر الغزال المحرما حج الحجيج وعاد يقصد زمزما

عند الطواف رأيتها مثلثمة للركن والحجر المعظم تلثما

فتبسمت خجلا وقالت يافتي أفسدت حجك يا محل المحرما. (المصباحي، 2015 ، صفحة 286)

وهنا نراه قد اختارا من الشعر "قديمه" الذي نطق به الأولون على السليقة ، وهذا وحده دليل على سعيه الدؤوب للمحافظة على التراث والهوية العربية.

- الشعر الأجنبي :

لقد حضى الشعر الغربي بنصبيه هو الآخر في النص المصباحي حيث عدد مصادر شعره من الفرنسي ، الألماني ، والصيني ، والأمريكي والتي نستشهد بهذه المقاطع التي وظفها في روايته :

يذكر المصباحي أنه يحب الشاعر بيسوا فقد زار لشبونة صيف 1996 من أجله ، وأورد جزءا من حياته في روايته حيث يوظف هذا المقطع من شعره فيقول : يثيرني هذا المقطع من قصيدة لفرناندو بيسوا فأعيد قراءته أكثر من مرة :

أستجمع قواي ، وأتمكن من استحضارها ثانية أمام أعين روحي ،

لكن عبر مخيلة أدبية تقريبا ،

أتمكن من استحضار أوج القرصنة ، أعداد الموتى ،

في مقطع آخر ، استشعر خلجات نفسي في ليل منع الجولان ، وترقب ما هو أسوأ وأمر :

غير أن مخيلتي تأبى مرافقتي

وثمة قشعريرة تستبد بي ،

وبغثة وبأسرع مما جرى في المرة السابقة

أوه ، للبرودة المنبعثة من بوابة السر لدى

انفتاحها لإتاحة دخول تيار هواء .! " (المصباحي، 2015 ، صفحة 71.70).

وفي زيارة الباي لباريس، وقبل أن يغادرها، مدحه شاعر كبير من الفرنسيين يدعى جيل بورغي بقصيدة فخمة اللغة فيها يقول :

في ميناء تونس... مخفورة بالزوارق ،

الباخرة "دانتي" متعجلة أن تمخر البحار،

زينت صوايرها برايات نفيسة تضطرب ألوانها في الهواء

ثم أقلعت باتجاه فرنسا

وهي فخورة بأن يسافر على ظهرها "خليفة إفريقي

انحنى الباي أمام هذه العظمة

ثم... رافعا بصره المنبهر بالمجد

سيادة السلام مع الحرية.. " (المصباحي، 2015 ، صفحة 112)

ويورد المصباحي مقطعا شعريا آخر للقصيدة التي حملت عنوان "منطقة"، للشاعر أبولينير قاتلا:

أنت في حديقة نزل في ضواحي براغ

تشعر كما لو أنك وردة على الطاولة

وعوض أن تكتب حكايتك النثرية

أنت تراقب السيتونية التي تنام في قلب الوردة....

صاعدا إلى "هراديشين" وفي المساء ومستمعا

إلى الأغاني التشيكية تغنى في الخمارات.. " (المصباحي، 2015 ، صفحة 247.248)

وعن الشعر الصيني يستحضر المصباحي مقاطع شعرية صينية، بواسطة صديقه الذي التقى به في بيت

هاينريش بل، فحدثه عن الشعر الصيني القديم قائلا: "يقول لي آيكاي: في الأزمنة القديمة كان الشعراء

الصينيون مرتبطين شديداً بالارتباط بالطبيعة.... وهذا ما نجده في قصائد وانغ واي مثلاً والذي عاش في القرن

الثامن :

جبل الخريف يستقبل آخر ما تبقى من الغروب

عصفور يطير ملاحقا حبيبته

أحيانا يتألا لأخضر - الأزرق

أما ضباب المساء فبلا مكان محدد...

حين بلغ السارد خبر وفاة صديقه عبد الوهاب أرسل لتعزيتها رسالة محتواها :

لتعزيتها... أرسلت إلى فائزة هذا البيت لإدغار آلن بو :

لم أستطع أن أحب إلا حيث

يمزج الموت نفسه بنفس الجمال! " (المصباحي، 2015 ، صفحة 295)

إن توظيف المصباحي لنماذج شعرية في روايته يمنحها شحنات تعبيرية أكبر، ولكن المعروف أن الشعر الغربي شأنه شأن أي نص يفقد معناه الحقيقي عند خروجه من البيئة واللغة التي كتب بها، وكذلك هو الحال للقارئ العربي الذي لا يفهم في أحيان ما قصده الشعراء الغربيون، وعليه فإن مهمة الأديب تكمن في كيفية استفادته من أي موروث مهما كان عربياً أم غربياً "فالمشكلة لا تتصل بمصدر التراث المستعان في العملية الإبداعية، وإن كانت المصادر غير العربية تشكل مصدر إعاقة عند بعض القراء في استيعاب التجربة الشعرية.. إنما المشكلة تكمن في قاعدة الاستفادة منه في معايير التوظيف والإفادة." (بوسقطة، 2007، صفحة 28)

إن لجوء الأديب إلى الاستعانة بالشعر ليس من قبيل عجزه الأدبي عن تصوير مشاعر شخصياته وأحاسيسها بل جاء هذا التوظيف لتعزيز النص ويزيده ثراء ويعكس الثقافة والإطلاع الواسع للأديب. إن التراث الأدبي بمختلف صنوفه النثرية والشعرية يمنح أي عمل إبداعي لمسة جمالية وفنية رائعة تستقطب القارئ المتعطش دوماً لكل ما هو مختلف عن العادي والمألوف. وهذا ما صرح به "عبد الله الغدامي" نقلاً عن "كرستيفا" قائلاً: "أن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى." (مباركي، 2003، صفحة 38)

- حضور الشخصيات الأدبية والفكرية في النص :

- العربية والغربية :

نجد المصباحي يعدد ذكر بعض الشخصيات الأدبية العربية والغربية في روايته والتي منها الآتي :
تذكر مجموعة من الروائيين المصريين حين زيارته لمصر :
- الروائي "نجيب محفوظ" ومرة واحدة طفت في تلك الأحياء العتيقة التي خلدها نجيب محفوظ في رواياته (.....) أشعر أحياناً أنها لم تكن أصلاً موجودة إلا في خيال صاحب الثلاثية . " (المصباحي، 2015 ، صفحة 28)
- والكاتب عباس محمود العقاد في : "يزداد الأفق اتساعاً فآتيه مع العقاد في عالم كتبه التي تعكس ثقافته الموسوعية." (المصباحي، 2015 ، صفحة 35)
- والأديب الكبير طه حسين : "...وأنا أقرأ "أيام" طه حسين محاولاً أن أكون مثله في الخيال فهو من ريف جاف وقاس كنه الريف الذي شهد مولدي . " (المصباحي، 2015 ، صفحة 33) .
- والروائي توفيق الحكيم : "ها أنا مصرياً آخر من الإسكندرية اسمه توفيق الحكيم يفتنني فأقرأ له دفعة واحدة "عصفور من الشرق" و "عودة الروح" و "زهرة العمر" و "يوميات نائب في الأرياف." (المصباحي، 2015 ، صفحة 36)

ومن الأسماء الأدبية الغربية التي أتى على ذكرها:

- ريتشارد كابوشيينسكي : "...ولعل الصحفي المرموق ، ريتشارد كابوشيينسكي أفضل من قدم وصفاً دقيقاً لظاهرة اللجوء إلى التدين في أوقات الاستبداد والطغيان..." (المصباحي، 2015 ، صفحة 19) .

فأتحدث إليهم عن راسين، وعن مولير، وعن فيكتور هوغو، وعن جيد... ثم أدعوهم إلى مرافقتي إلى بلاد الإغريق ليتعرفوا على سقراط، وعلى تلميذه أفلاطون وعلى أرسطو معلم ابن رشد... وعندما يروق المساء، ويلطف الهواء أقرأ عليهم أشعار فرجيل، أو مقتطفات من "الكوميديا الإلهية". (المصباحي، 2015، صفحة 34)

- بيسوا :

"من أجل بيسوا ذهبت إلى لشبونة في صيف 1996." (المصباحي، 2015، صفحة 71)

- كافكا: " فكرت في روايتي "المسخ" و "الحاكم" لكافكا ورحت أستعرض فصوليهما وكأنني أدرك عمق معانيهما للمرة الأولى... ". (المصباحي، 2015، صفحة 237)

- هاينريش بل: يعود اكتشاف هاينريش بل إلى مطلع الثمانينات من القرن الماضي (...). أول كتاب قرأته له رواية قصيرة عنوانها "القطار وصل في موعده". (المصباحي، 2015، صفحة 250)

انطلاقاً من استدعاء هذه الشخصيات العربية والغربية التي وظفها المصباحي في روايته والتي تناسب أحاسيسه وأفكاره، نجده يستدعي في لوعيه فعلاً موروثه الثقافي الأدبي الذي استحضره في عمله الروائي.

02 / المكونات الشعبية :

إن (المكونات الشعبية) أو بالأحرى الأدب الشعبي مرآة ودليل، ولا شك في أن له دور مهم في استمرار الوجود والمحافظة على الروح القومية والجماعية وذلك بتمجيد البطولات وترسيخ العادات، و يتميز الأدب الشعبي عن الآداب الأخرى أنه أوسع انتشاراً وأسرع تداولاً على ألسنة الناس، يجاورهم ويثيرهم ويلامسهم في أعراسهم وسهراتهم ومآثمهم. " (سلمان، 1981، صفحة 192)، فالتراث الشعبي أو الموروث الشعبي عبر مختلف أنماطه والمتمثلة في المكان والزمان والتي تنتظم في عدة فنون من الثقافة الشعبية، سيما فنون الأدب الشعبي من أشعار وحكايات خرافية، وقصص شعبية وملاحم وأمثال وألغاز وعادات وتقاليد، وممارسات شعبية لا تزال متجذرة في مجتمعنا المغاربي، وتؤثر فيه وتحركه، وكذا فنون الموسيقى والغناء والرقص الشعبي الجماعي والألعاب الشعبية، وما يتخللها من حركات إيقاعية وإشارات إيمائية عبرت بأصالة وصدق عن تاريخ الإنسان المغاربي عبر العصور. وهذا ما يجعل التراث رافداً غنياً للنص السردي الحريص على التعبير عن روح الجماعة، تماماً كما هو الحال بالنسبة للمصباحي الذي وظفه في روايته باعتباره مادة أولية إذ استطاع الكاتب أن يحللها إلى موقف ويحولها إلى مشاهد روائية، تساهم في بناء الحدث والشخصية وفي تشييد معمارية النص يكون قد نجح في إنتاج نص روائي يتفاعل مع الموروث ويجاوره بشكل إيجابي مستثمر كل المقومات التي يزخر بها والتي تتجاوز مقولتي الزمان والمكان وتبرز قوة الموروث على الاستمرار والامتداد كل ما تم استدعاؤه في سياق الموروث، فنجد أن المصباحي قد وظف عدة أشكال للتراث في الرواية منها :

2-1 الشعر الشعبي والأغنية الشعبية :

يتضح مما سبق أن الثقافة الشعبية المتمثلة في الأغاني الشعبية والبدوية تنقل للقارئ صورة من صور الواقع الاجتماعي، فهي مرآة عاكسة لحال المجتمع بآلامه وآماله وأحزانه وأفراحه وثقافته، وذلك عن طريق الكلمات التي تحمل معنى يوافق حقيقة الواقع.

وفي رواية "أشواك وياسمين" أورد المصباحي مقاطع شعر شعبية لمجموعة من شعراء الشعبي التونسي تتمثل منها الآتي :

جاء على لسان البوعزيزي قصيدة للشاعر الشعبي التونسي عبد الرحمان الكافي أنشده إياها العجيمي، فكانت بالنسبة إليه هي أروع قصائده والتي يقول فيها :

الرجاء في المولى

أما الدنيا وأهلها مجمولة

إللي ظهر وإلي بقا متخبي برياسها بملوكها بالصوله

وزير الداخليه

وشيخ المدينه ورئيس الجمعيه

لو كان يكون جنسه عربي

وزير القلم وقايد الحريه

المتكبر والمستبد في الخلق والمنتجبر

إللي ركب على الخيول العبر

وإللي يسكن في قصر ولا في قربي

وإلي خطب بالكذب فوق المنبر. " (المصباحي، 2015، صفحة 220.219)

لقد حفظها البوعزيزي عن ظهر قلب لتصبح نشيده الوطني، أرددها سواء كنت وحدي أم مع آخرين حين تضيق بي الدنيا، وتشتد علي همومي ومشاكلها، ألجأ إليها فيعود لي الصفاء والبهجة.

ويستحضر الروائي مقطعا رده أعراب بني هلال الغلاظ حينما استولوا على أراضي قابس ونواحيها

وهم بصدد الزحف على القيروان مرددين أغاني الانتصارات التي يحققونها كل يوم :

حنا عرب الصحراء

نرعى المراعي الخضرا

ومن جالنا في طفره

نهجم عليه نحاريه

أبطال في خصومتنا

أكرام في محلتنا

واللي اتبذلتنا

نخلي دياره خاربه... " (المصباحي، 2015، صفحة 363)

لقد جاء توظيف الرواية للأغنية الشعبية جزئياً ، كما ذكرنا سابقاً ، لأنه لم يضمن الأغنية الشعبية كاملة في نصه الروائي ، بل عمداً إلى إدخال جزء معين كان كافياً ليعبر به عن ظرف نفسي في الرواية ، ونلاحظ أنه قد أبقى على لفظ الأغنية العامي " الدارجة " ، حتى يحافظ على دلالة الإيحائية وطاقاتها التعبيرية واللغة الخاصة بها ، فالروائي له دراية بالزخم المعنوي الذي تحمله الأغنية الشعبية ويمدى التأثير الذي تحدثه في المتلقي .

2-2 المثل الشعبي :

أما المصباحي فقد وظف الأمثال التالية :

- " عندما يسقط الثور ، تكثر السكاكين " (المصباحي ، 2015 ، صفحة 102)
- " قلل ودل " . (المصباحي ، 2015 ، صفحة 129) عملاً بالمثل الشعبي التونسي .
- " أرقد في الخط " (المصباحي ، 2015 ، صفحة 217) أي أن أكنم غيظي وأتحاشى إظهار غضبي وسخطي على النظام
- " هربنا من القطرة وجينا تحت الميزاب " (المصباحي ، 2015 ، صفحة 383) كما نقول في بلادنا ، وظف المصباحي هذا المثل حينما رأى أن الطغيان والظلم لم يذهبا بل توسعا والطغيان في هذه المرة ليس سياسياً فقط ، وإنما دينياً أيضاً .
- استثمر الروائي " المصباحي " في الأمثال الشعبية من خلال نصه ، والتي كان لها الدور الكبير في إيصال المعنى للقارئ ، كانقد استمدها من الإرث الاجتماعي والمرتبطة " خصوصاً بما تعيشه الطبقة الشعبية البسيطة التي ينتمي إليها الكاتب . " (سلام ، 2012 ، صفحة 92) ، وقد جاءت مضامينها لتعبر عن تجارب ، وأوردها الكاتب في نصوصه " نافثاً فيها روحاً عميقة منطوية على مهارة الفنان الذي خير مواطن الجمال ، في كلام الأسلاف ، فكانت له نعم المعين في استعمال المشاهد والصور التي عجز قلمه عن التعبير فيها كما رأينا . " (سلام ، 2012 ، صفحة 93)

2-3 الحكاية الشعبية :

- وفي رواية أشواك وباسمين تضمنت الحكاية الشعبية من خلال ما يأتي :
- " ثم شرع يروي قصة " بوبالة " كما لو أنه يروي خرافة من خرافات الأغوال والأهوال ... " . (المصباحي ، 2015 ، صفحة 386)
- " .. بصوته الرخيم ... يروي الهذلي فصولاً من تغريبة بني هلال بكل تفاصيلها وجزئياتها ... مطلقاً صوته بالغناء من حين لآخر .. والرجال يستمعون إليه في خشوع .. " (المصباحي ، 2015 ، صفحة 369)
- نلاحظ مما سبق أن التراث الشعبي قد أثبت حضوره بمميزاته الفنية والشعبية ، على مستوى النص الروائي ، كونه مستمداً من عمق أصالة المجتمع ، فالملوث الشعبي بمختلف أنماطه من أشعار ، وحكايات خرافية ، وأمثال ، وعادات وتقاليد ، وممارسات شعبية ، تؤثر في المجتمع وسيرورته ، وكما نلاحظ أن حسونة المصباحي حاول إثراء المادة التراثية كمصدر ثقافي ، مبرزاً مدى أهميته ومكانته في المجتمع . فقد أراد تقديم الصورة الثقافية

للمجتمع، انطلاقاً من التراث، حيث يحمل في طياته أثراً ثقافياً يساعده في الكشف عن الوعي الحضاري والفكري والذي يمثل المجتمع في الرواية.

03/ المكونات الصوفية :

تعتبر المكونات الصوفية أو الموروث الديني من أهم المصادر التي استلهم منها الأدباء المعاصرون مواضيعهم وأسقطوها على أعمالهم الإبداعية لارتباطها الوثيق بوجدان الناس ولتأثيرها الكبير في نفوسهم لما لها من قدسية ولصدق تجارب شخصياتها كالأنبياء والرسل والزهاد والعابدين، ولذلك نلمس حضوراً مكثفاً للنزعة الدينية في مختلف الأعمال الأدبية سواء أكانت شعراً أم نثراً.

ويعد استدعاء التراث الديني لونا من ألوان التعبير الإنساني عن العواطف والميول والمثل العليا، ومتصل أشد اتصالاً بأمزجة الأفراد والأمم وممثلاً لها تمثيلاً صادقا، قويا، وهو كذلك من الطرق التي تسلكها الإنسانية إلى الجمال والمثل العليا.

التراث الديني حافل بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وكذا الطقوس والمظاهر الدينية التي كانت ولا تزال شاهداً حياً على بقاء الإسلام في كل قلب ينبض، ولذلك فإننا نجد النص الديني قد حضر بمختلف مصادره في هذه الرواية.

تستحضر جميعها اللفظ الديني الإسلامي الذي يتجلى في لغة القرآن والحديث النبوي الشريف ومن

بين الاقتباسات نجد :

3-1 القرآن الكريم :

اهتم به المشتغلون في حقل الدراسات الإسلامية واللغوية وأوردوا له تعاريف محدودة تميزه عن غيره من أصناف الكلام، فقال "مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي" : "القرآن هو اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته والواصل إلينا عن طريق التواتر". (البوطي، 1990، صفحة 25) ويذهب "علي الجرجاني" إلى تعريفه بقوله : "القرآن الكريم هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف، المنقول عنه متواتراً بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق هو العلم الديني الإجمالي الجامع للحقائق كلها". (الجرجاني، 2002، صفحة 175)

ولأن المصباحي مشبعة روحه بتعاليم الدين منذ طفولته، فلا غريب أن نلمح ونلمس هذا التأثير يطغى على أعماله، ولا نقصد هنا الكم، بقدر ما نقصد الحضور، فهو في هذا التوظيف الديني لا يختلف عن غيره من الروائيين الذين يضمون رواياتهم بنية لغوية محكمة مع الخطاب اللغوي القرآني بصورة مكثفة وعلى عدة أوجه.

أما في رواية أشواك وياسمين فنجده وظف الآيات القرآنية التالية:

أثناء زيارته لمصر والجولة التي قام بها في أحيائها، يصف الأوضاع الجديدة التي أصبحت عليها مصر بعد الثورة على النظام، فيصف أصوات المقرئين الموحشة الحزينة وهم يرتلون آيات قرآنية كلها تهديد ووعيد للكافرين والزائغين عن العقيدة والمتهاونين في أداء فروضهم الدينية وتمثل لذلك في الآتي :

- ومن محل بائس لبيع الملابس النسائية تنسل الآية التالية: قال الله تعالى: "هاذان خصمان اختصموا في رحم: فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار، يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق" (المصباحي، 2015، صفحة 31.30)

- وفي حديثه عن قصة ثورة العربان يخبرنا الرواي: قام إمام الجمعة بإلقاء خطبة نصح فيها الناس وذكرهم بالآيات التالية: قال الله تعالى: "إن الله لا يحب المسرفين"، وفي موضع آخر: قال الله تعالى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة". لكنه ضرب وشم واختطف عمامته، فعاد إلى البيت عاري الرأس. (المصباحي، 2015، صفحة 63)

- بعد ثورة الربيع العربي ظهر أناس يتكلمون ويتصرفون كما لو أنهم خلفاء الله في الأرض، باسمه يكفرون من يريدون ويرتكبون ما يشاؤون من جرائم... فهذا هو شيخ في أرذل العمر طالب بقطع أرجل وأيدي من يناصبون العداء لحزبه "مستندا في ذلك إلى الآية التي تقول: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا..أو يصلبوا..أو تقطع أيديهم وأرجلهم..أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا، ولهم عذاب في الآخرة عذاب عظيم". (المصباحي، 2015، صفحة 269)

- في مشهد سردي يصف المصباحي أيام القيروان الكئيبة... "أما يوم الجمعة فأصبح يوم شديد التهجم والعبوس.. "شبيه بيوم الحشر في القرآن، لا نسمع فيه غير التهديد والوعيد، وآيات كهذه الآية: قال الله تعالى: "إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون ونادوا: يا مالِك ليَقْضِ عَلَيْنَا رِبْكَ قال: إنكم ماكثون..". (المصباحي، 2015، صفحة 380)

من الملاحظ أن "المصباحي" حاول من خلال التوظيفات الدينية للقرآن الكريم، سواء على صعيد الاستعانة بالآيات القرآنية أو الألفاظ أن يبرز مدى تأثيره الواضح بالقرآن الكريم، ولقد جاء التأثير على صعيد اللفظ المستخدم والمعنى المقصود أيضا، حيث حاول الروائي الاعتماد على وازعه الديني لمعالجة قضايا ومحاور شخصياته الورقية، حوارا حضاريا ينم عن شخصية الروائي الراقية التي هي في بحث مستمر عن الأفكار والأساليب السامية والتي من شأنها أن تلج إلى عقل القارئ العادي وقلبه أيضا، ولا شيء أعظم وأيسر للفهم والحفظ من منبع الذكر الحكيم.

3-2 الحديث النبوي الشريف :

يعد الحديث النبوي الشريف من مصادر الدين الإسلامي، ويأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وهو ما نطق به وأكده سيد الخلق وخاتم المرسلين مُحَمَّد ﷺ، وهو كل ما سنه الحبيب من أقوال وأفعال اقتدى بها الصحابة وسار على مناهجها المسلمون فيما بعد

ولا شك فيه أن الأديب العربي قد تشرب أيضا من هدي السنة المحمدية ونهل من منابعه ومن أبرز سمات بلاغته الإيجاز، ولهذا فإننا نلاحظ توظيف الأديب العربي اليوم للغة النبوية، لما تحملها من طاقات تعبيرية تناشد الضمير الإنساني وتحشد هم القارئ الذي هو إنسان يبحث عن الأمان، يبحث عن حقوقه

وراحته فلا يجدها إلا متناثرة كحبات الثريا بين جنبات الدين الإسلامي، على صفحات الكتاب والنص القرآني المقدس وبين طيات العبر والأقوال التي خطها الصحابة عن الرسول . ونجد المصباحي قد أورد الحديث في متن روايته من خلال المقاطع التالية :

- "منهومان لا يشبعان :طالب علم ،وطالب دنيا .." (المصباحي، 2015 ، صفحة 51)

في خطبة ألقاها زعيم ثورة العربان "علي بن غذاهم ،استدل بهذا الحديث ليرز أن الحكام من طالبي الدنيا وهو لا يشبعون منها أبدا ،خاصة بعدما فرضوا عليهم الضرائب المجحفة.

في مقطع سردي خاص بقصة محمود بن عياد والباي ،أراد الكاتب الخاص للباي مواساته في مرضه بعدما وجده على فراش الموت واجما ..مطرقا حزينا ،فقال له : "الشكر لله سيدي ... "فقد ورد في الحديث الشريف :-"ما من مصيبة إلا وعند الله أعظم منها ،وأعظم من فقد اليد والرجل ،فأفقد العقل واللسان ،وأعظم من هذا كله ثورة العامة وتفرق الخاصة ،وصولاً البغاة ،وغلبة الدين." (المصباحي، 2015 ، صفحة 131)

في مقطع يصف فيه حالة جموع من المتظاهرين الغاضبين من أصحاب التيار الإسلامي وأثناء إلقاء زعيمهم لخطبة حماسية ،استدل الإمام العجوز خطيبهم بهذا الحديث ليرفع من همتهم فيقول :عن عبد الله قال : "بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، إذ أقبل فتية من بني هاشم ،فلما رآهم رسول الله "صلعم" ذرفت عيناه وتغير لونه. قال :فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا تكرهه فقال : "إننا أهل البيت ..اختار الله لنا الآخرة عن الدنيا ،وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا ،حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود ،فيسألون الخبر فلا يعطوه ،فيقاتلون وينتصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه،حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطا كما ملؤها جورا،فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج." (المصباحي، 2015 ، صفحة 345)

3-3 الطقوس الدينية :

إن الدين الإسلامي هو دين معاملة وعبادة ،لذا فإن خطاب المولى عز وجل موجه للعقل والقلب معا ،وذلك أن جعل العبد يعمل فكره ويتدبر أمر هذا الكون بعقله ويحرص على تأدية أعماله وعباداته بقلب صاف لأن الأعمال بالنيات ولذلك فإن الوازع الديني الذي حرص المصباحي على جعله يتجلى بين جنبات روايته تارة بطريقة مباشرة مثل النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة ،وتارة أخرى عبر الطقوس الدينية التي تعكس الأجواء الإيمانية التي تحيط بشخوص الرواية ومنها :

أما في رواية أشواك وياسمين فقد وظف المصباحي بعض المقاطع منها :

قبل زيارة الباي إلى فرنسا طلب من والدته السماح له بالزيارة والدعاء له ،بعد قليل دخلت الوالدة لتقول لابنها : "..سافر في وديعة الله وأنا سأدعوا لك بالخير والصحة في الليل وفي النهار .." (المصباحي، 2015 ، صفحة 104)

وفي مقطع آخر : "...ونحن ندعو الله أن يشفيك لنعود لخدمة مملكتك.." فاستعذب الباي كلام كاتبه الخاص وعليه علق قائلاً : "يا ربي إني تائب إليك ، راض بما حكمت علي ، ولك الحمد والشكر .." (المصباحي، 2015 ، صفحة 131)

"نسير داعين بالشكر على "أولاد السباع" كأن تعمى عيونهم ويصاب بالعقم رجالهم ، ويستم أبناؤهم ، وتصاب بالجرب نساؤهم ، ويكثر القمل في رؤوسهم ، وتقفر بيوتهم من كل خير وبركة ، وينسون الشهادة وهم في حضرة الموت فيساقون إلى جهنم الحمراء وبئس المصير.." (المصباحي، 2015 ، صفحة 207)

3-4 الأذكار الإسلامية :

إن المسلم الحق ، هو في حاجة دائماً أن يبقى وثيق الصلة بربه فيذكره ويتذكره في كل وقت وحين ، في السراء والضراء ومثال ذلك ما نجده في أبرز بعض المظاهر الدينية المتمثلة في :
 "وعلى الصلاة أقبلت أعداد غفيرة من الشباب بالخصوص حتى غصت بهم المساجد . وفي أيام الجمعة ...تصبح حركة المرور عسيرة.. لأن الأرصفة تتحول إلى أمكنة تجوز فيها الصلاة ، ورغم اقترابها من بعضها البعض ، فإن المساجد تتنافس على الدعوة إلى صلاة الفجر بواسطة مكبرات الصوت..." (المصباحي، 2015 ، صفحة 16)

"...بل عمدوا إلى إقامة صلاة الجمعة في "شارع بورقيبة" أكثر من مرة ، بعدها ينتشرون في المدينة ، رافعين الرايات السوداء ، داعين إلى "الجهاد المقدس" وإلى محاربة اليهود والكفار والمرتدين . وفي الأعياد الدينية مثل عيد الفطر ، وعيد الأضحى أقاموا الصلاة على شاطئ الحمامات بهدف ردع السياح عن القدوم إليها..." (المصباحي، 2015 ، صفحة 26)

"...وعلى مسجده الذي يسمى "مسجد البركة" يسيطر المتشددون ، لذلك لا تنقطع عيون النظام عن مراقبة المرتدين عليه..." (المصباحي، 2015 ، صفحة 274)

"وثمة آخرون يتكلمون ويتصرفون كما لو أنهم خلفاء الله على وجه الأرض ، باسمه يكفرون من يريدون ، ويرتكبون ما يشاؤون من الجرائم والأفعال الشنيعة... رافعين الرايات السوداء ..مرتدين :الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر..." (المصباحي، 2015 ، صفحة 269)

وقد وظف المصباحي الخطبة الدينية في روايته أشواك وياسمين فاختار مقاطع ذكرها في ما يأتي :
 في جموع غفيرة غاضبة ألقى الإمام العجوز خطبته هذه بعدما تحدث إليهم طويلاً عن عذاب القبر وعن نار جهنم ، وحثهم على مجاهدة المسؤولين الفاسدين الكفرة وأن لا تغترهم الدنيا فهي فانية وعليهم أن يفضلوا الآخرة دار البقاء ، وهذا مقطع من نص الخطبة :

"وأظن أنكم أدركتم معاني ومقاصد رسول الله ... فإنه يتوجب عليكم أن تتعظوا بهذا الكلام ...وبه تقتدون...فتختاروا جنة الآخرة على وسخ الدنيا الفانية وأوهامها ...واليوم إسلامكم في خطر والكفرة الفجرة بقيمة يسخرون ويعبثون..... وأنتم مطالبون بأن توفوا أجوركم يوم الآخرة ." (المصباحي، 2015 ، صفحة

أشار الروائي إلى ظاهرة انتشار التيارات الإسلامية وركوبها المشهد الاجتماعي حتى أضحت كل المحلات والشوارع تعج بتلاوة القرآن وتسميعه عبر مكبرات الصوت وحتى هناك من فتح دكاكين وأكشاك للتداوي بالقرآن :

"والتداوي بالقرآن" ظاهرة غريبة أخرى انتشرت في العاصمة وفي بعض المدن الداخلية. ومن دون الحصول على رخصة قانونية، فتح العديد من الدجالين والمشعوذين والمختالين عيادات. " (المصباحي، 2015، صفحة 18)

" في مصر وأثناء الثورة على النظام، انتشرت ظاهرة حمل كتاب الله "القرآن" في التاكسيات وأماكن العمل وتوزيعها على كل الناس في اللقاءات والتجمعات، ففي التاكسي يدور الحوار التالي بين: يقول سائق التاكسي "دا كتاب الله العزيز... وفيه كل شيء... كل شيء... (.....) والنبى ﷺ قال إن الذي يواظب على قراءته في الليل كما في النهار يهبه الرزق في الحياة الدنيا، ويسكنه الجنة في الآخرة..." (المصباحي، 2015، صفحة 32)

أورد المصباحي قصة دينية تمثلت في قصة سيدنا موسى وفرعون في بلاد مصر حينما رأى أحوال مصر وما آلت إليها حزن وتحصر وشبهها بعقاب الله لها :

"...فلكان مصر يعاقبها الله مثلما فعل فيعهد موسى وفرعون كما ورد في العهد القديم، ففي المرة الأولى مد موسى عصاه نحو السماء (....) وفي المرة الرابعة قتل الله كل بكر في مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه إلى بكر السجين الذي في الحبس، وكذلك بكر البهيمة." (المصباحي، 2015، صفحة 29)

إن استدعاء المصباحي للرموز الإسلامية والتاريخية لم يكن من باب تفعيل أحداث روايته فحسب، بقدر ما كان يهدف للتعريف بأعلام منطقته، وهذا نظراً لطبيعته الفكرية كمؤرخ يتصيد الفرص لعرض رصيده المعرفي في تنمية الحراك الثقافي التونسي ولعله بذلك أيضاً بل يحافظ على التراث والهوية.

4. خاتمة:

إن التراث الأدبي بمختلف صنوفه الثرية والشعرية يمنح أي عمل إبداعي لمسة جمالية وفنية رائعة تستقطب القارئ المتعطش دوماً لكل ما هو مختلف عن العادي والمألوف .

نلاحظ مما سبق أن التراث الشعبي قد أثبت حضوره بمميزاته الفنية والشعبية ،على مستوى النص الروائي ، كونه مستمداً من عمق أصالة المجتمع ، فالملحورث الشعبي بمختلف أنماطه من أشعار ، وحكايات خرافية ، وأمثال ، وعادات وتقاليد ، وممارسات شعبية ، تؤثر في المجتمع وسيرورته ، وكما نلاحظ أن حسونة المصباحي حاول إثراء المادة التراثية كمصدر ثقافي ، مبرزاً مدى أهميته ومكانته في المجتمع . فقد أراد تقديم الصورة الثقافية للمجتمع ، انطلاقاً من التراث ، حيث يحمل في طياته أثراً ثقافياً يساعده في الكشف عن الوعي الحضاري والفكري والذي يمثل المجتمع في الرواية .

ويعد استدعاء التراث الديني لونا من ألوان التعبير الإنساني عن العواطف والميول والمثل العليا ، ومتصل أشد اتصالاً بأمزجة الأفراد والأمم وممثلاً لها تمثيلاً صادقاً ، قوياً ، وهو كذلك من الطرق التي تسلكها الإنسانية إلى الجمال والمثل العليا .

التراث الديني حافل بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وكذا الطقوس والمظاهر الدينية التي كانت ولا تزال شاهداً حياً على بقاء الإسلام في كل قلب ينبض ، ولذلك فإننا نجد النص الديني قد حضر بمختلف مصادره في هذه الرواية .

يملك الروائي حسونة المصباحي من الثقافة والزاد المعرفي ما يؤهله بجدارة ليكون أدبياً فحلاً ، يحكي ويحاكي الهوية والأصالة بكل واقعية ومصداقية ، ويعبر عن خلفيته ومرجعياته التراثية التي انطبعت في عمله ، لتكشف عن شخصيته ، وعن زخمه الثقافي الذي تزخر به روايته "أشواك وياسمين" ، ونهله من منابع التراث وتشربه منه سواء كان شعراً أم نثراً .

5/ قائمة المراجع :

- بوجمعة بوعيو، حسن مزدور ،السعيد بوسقطة. (2007). *توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث*. عنابة ،الجزائر: مطبعة المعارف .
- جمال مباركي. (2003). *التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر* . الجزائر : إصدارات رابطة إبداع الثقافية.
- حسونة المصباحي. (2015). *أشواك وياسمين*. تونس : دار آفاق للنشر.
- سعيد سلام. (2012). *دراسات في الرواية الجزائرية وتناصها مع الأمثال*. الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع .
- شوقي ضيف. (2008). *في التراث والشعر واللغة*. القاهرة: مكتبة الدراسة الأدبية.
- عثمان حشلاف. (بلا تاريخ). *التراث والتجديد في شعر السياب ،دراسة تحليلية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- علي بن محمد علي الجرجاني. (2002). *التعريفات* . بيروت: دار الكتاب العربي.
- محمد سعيد رمضان البوطي. (1990). *من روائع القرآن* . بيروت: مؤسسة الرسالة.
- نور سلمان. (1981). *الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير* . بيروت: دار العلم للملايين.